النصيحة

لمريد العقيدة الصحيحة

بقلم الدكتور
عيسى بن مانع الحميري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

هذه رسالة قيمة كتبها سيدي الشيخ عيسى بن مانع الحميري حفظه الله تعالى ونفعنا بعلومه شافية وكافية لمن يريد العقيدة الصحيحة السالمة من التجسيم والتعطيل والتشبيه فجزاه الله عنا خير الجزاء...

مقدمة

الحمد لله المنعم المتفضل حافظ الملة بالعلماء الأجلة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر، ولا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، ولا تحيط به الجهات، ولا تكتنفه الأرضون والسموات، كان قبل تكوين المكان وتدبير الزمان، وهو الآن على ما عليه كان.

خلق الخلق وأعمالهم، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم، فكل نعمة منه فهي فضل، وكل نقمة منه فهي عدل، لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، استوى على العرش المجيد على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده، استواء منزهاً عن المماسّة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، فتعالى الله الكبير المتعال عما يقوله الظالمون علواً كبيراً، لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته مقهورون في قبضته، أحاط بكل شيءٍ علماً وأحصى كل شيءٍ عدداً، مُطَّلع على هواجس الضمائر

وحركات الخواطر، حي مريد، سميع بصير، عليم قدير، متكلم بكلام قديم أزلي ليس بحرف ولا صوت ولا يتصور في كلامه أن ينقلب مداداً في الألواح والأوراق، وشكلاً ترمقه العيون والأحداق، كما زعم المجسمة، بل الكتابة من أفعال العباد ، ولا يتصور في أفعالهم أن تكون قديمة ويجب احترامها لدلالتها على كلامه، كما يجب احترام أسمائه لدلالتها على ذاته، وحق لمن دلّ عليه وانتسب إليه أن يعتقد عظمته، وترعى حرمته، لذلك يجب احترام الكعبة والأنبياء والعباد والصلحاء والعلماء، سبحانه أفاض على خلقه بنواله وأكرمهم بفيوضات جماله وكماله، وضمَّن توحيده في الشهادة، ولم يضيق عليهم مفاتيح السعادة، امتدح من آمن بالغيب وذمَّ من اتبع المتشابه من القرآن والسنة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يقولون:آمنا به كلٌ من عند ربنا.

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا. أبان الحق وأوضح السبيل وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وحذرنا من الخوارج وأفكارهم، وأنهم بلاء هذه الأمة، لقوله ﷺ في الحديث الصحيح في ذي الخويصرة: ((إن هذا وأصحابه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم من فوقه (1(فوقه " أي موضع السهم من القوس والوتر . (1(((وفي رواية للإمام أحمد (421 /4(عن أبي برزة رضي الله عنه يقول في الخوراج:أتي رسول الله ﷺ بدنانير فكان يقسمها وعنده رجل أسود مطموم الشعر عليه ثوبان أبيضان بين عينيه

أثر السجود، فتعرض لرسول الله ﷺ فأتاه من قِبَل وجهه، فلم يعطه شيئاً، ثم أتاه من خلفه فلم يعطه شيئاً، فقال:والله يا محمد ما عَدلتَ منذ اليوم في القسمة، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ثم قال: ((والله لا تجدون بعدي أحداً أعدل عليكم مني ((قالها ثلاثاً ثم قال:()يخرج من قِبَل المشرق رجال كان هذا منهم، هديهم هكذا، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما تمرق السهم من الرمية لا يرجعون إليه ـ ووضع يديه على صدره ـ سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم، فإذا رأيتموهم فاقتلوهم ـ قالها ثلاثاً ـ شر الخلق والخليقة .((وإسناده حسن. ومعنى (التحليق (مفسرٌ بوضعه صلى الله عليه وسلم يديه على صدره، لأنه من شعار خوارج زماننا، وهي معجزة نبوية حيث يصفهم صلى الله عليه وسلم كأنه يراهم، ويؤكد هذا المعنى ما قاله أهل اللغة ومنهم شمر اللغوي:لا أدري التحليق إلا الارتفاع، كما في لسان العرب (63/ 10(
ولا يتعارض ما ذكرناه مع)رواية ابن خزيمة في صفة الصلاة:" فوق الصدر" فإنه من توسع الرواة قطعاً لأنه لم يعمل به أحد من الأئمة، ولا يوجد الرفع بهذا النوع في كتب الشافعية... ثم لم يرد به إلا قريباً من الصدر). كذا حققه المحدث الشيخ الأنور في فيض الباري .(236/ 2(قلت:ويفهم من ذلك التصحيف في الرواية بين فوق" و "قرب" وكما هو واضح في الرواية الأخرى بلفظ:"على" فليُتأمل.
وثبت في صحيح البخاري عن الصادق المصدوق ﷺ أنهم قومٌ عمدوا إلى آيات نزلت في الكافرين فنزلوها على المسلمين، وذكر ﷺ أن من أوصافهم التحليق وأنهم

حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية)2((2(أي يأخذون بظواهر الأحاديث التي تروق لهم. فهذه الأوصاف إن وجدت في فئة من الناس فهم المعنيون في الأحاديث الشريفة المتقدمة. وينبغي على من وجد في نفسه شيئاً من ذلك أن يؤوب إلى الله كما آب يوم مقتل عمار كثير من الناس إلى الله سبحانه وتعالى. فأحرى بالمسـلم الأوبة في هذا الزمن وقـــد صان الله أمته، وحفظها بأن قيض لها أئمة عدولاً يحفظون لها أمر دينها لقوله صلى الله عليه وسلم :" يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها" أخرجه أبو داود وإسناده صحيح. من سلالة الطاهرين والبررة المنتجبين الذين حازوا الشرف والمقام الأسنى بالأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم فالأدب كما ثبت في الآثار ينفع الأعقاب ويسري في أصولهم، فقد رحم الله الأمة بأبي منصور الماتريدي وأبي الحسن الأشعري، فقال ﷺ في أهل اليمن:()الإيمان يمان والحكمة يمانية، أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة وألين قلوباً ((أخرجه البخاري ومسلم، وفي حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال:()يقدم قوم هم أرق أفئدة منكم ((فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى.. الحديث.

أما بعد :فيقول الله تعالى:)فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)، قال صلى الله عليه وسلم:()هم قوم هذا ((وضرب بيده على ظهر أبي موسى الأشعري .

قال شيخ الإسلام الإمام السبكي رحمه الله:وقد استوعب الحافظ ابن عساكر في كتاب)التبيين) الأحاديث الواردة في هذا الباب وهذا ملخصها:

قال علماؤنا:بشر صلى الله عليه وسلم بأبي الحسن إشارةً وتلويحاً كما بشر بأبي عبد

الله الشافعي رضي الله عنه في حديث:()عالم قريش يملأ طباق الأرض علماً ((، ومالك رضي الله عنه في حديث:()يوشك أن يضرب الناس آبـــاط الإبل فلا يجدون عالمـــاً أعلم من عالم المدينة .((

وممن وافق على هذا التأويل وأخذ به من حفاظ المحدثين وأئمتهم الحافظ الجليل أبوبكر البيهقي فيما أخبرنا بسنده المتصل قال:

أما بعد فإن بعض أئمة الأشعريين رضي الله عنهم ذاكرني بمتن الحديث الذي أنبأَناه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ بسنده عن سماك بن حرب عن عياض الأشعري قال:لما نزلت)فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)أومأ النبي صلى الله عليه وسلم إلى أبي موسى فقال:()هم قوم هذا .((

قال البيهقي:وذلك لما وُجد من الفضيلة الجليلة والمرتبة الشريفة للإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ، فهو من قوم أبي موسى وأولاده الذين أوتوا العلم ورزقوا الفهم مخصوصاً من بينهم بتقوية السنة وقمع البدعة بإظهار الحجة ورد الشبهة، والأشبه أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما جعل قوم أبي موسى من قوم)يحبهم الله ويحبونه)لما علم من صحة دينه وعرف من قوة يقينه فمن نحا في علم الأصول نحوهم وتبع في نفي التشبيه مع ملازمة الكتاب والسنة قولهم جُعل من جملتهم. انتهى كلام البيهقي.

قال شيخ الإسلام الإمام السبكي رحمه الله:ونحن نقول ولا نقطع على رسول الله

ﷺ:يشبه أن يكون نبي الله ﷺ إنما ضرب على ظهر أبي موسى في الحديث الذي قدمناه للإشارة والبشارة بما يخرج من ذلك الظهر في تاسع بطن وهو الشيخ أبو الحسن، فقد كانت للنبي ﷺ إشارات لا يفهمها إلا الموفقون المؤيدون بنور من الله الراسخون في العلم ذوو البصائر المشرقة ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

وقد عقد ابن عساكر في كتاب التبيين باباً فيما روي عن النبي ﷺ من بشارته بأبي موسى حين قدومه من اليمن وإشارته إلى ما يظهر من علم أبي الحسن ـ وابن عساكر من خيار هذه الأمة علماً وديناً وحفظاً، لم يجيء بعد الدارقطني أحفظ منه، اتفق على هذا الموافق والمخالف.

وعن مجاهد في قوله تعالى:)فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه) قال:قوم من سبأ.

قال ابن عساكر:الأشعريون قوم من سبأ .

قال شيخ الإسلام السبكي رحمه الله:قال علماؤنا:إن النبي ﷺ لم يحدث في أصول الدين أحداً بحديث حدثه للأشعريين وأنهم الذين اختصوا بسؤاله عن ذلك وإجابته لهم .

ففي صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين قال:إني لجالس عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم، قال:()اقبلوا البشرى يا بني تميم((قالوا:قد بشرتنا فأعطنا يا رسول الله. قال:فدخل عليه ناس من أهل اليمن فقال:()اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم ((قالوا:قبلنا يا رسول الله، جئنا لنتفقه في الدين

ونسألك عن أول هذا الأمر ما كان .

كذا في لفظ وفي لفظ البخاري جئناك نسألك عن هذا الأمر. قال:()كان الله ولم يكن شيء غيره[1] ((وفي رواية:()ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء .((

وقد ساق ابن عساكر هذا الحديث من طرق عدة.

قال شيخ الإسلام السبكي رحمه الله:اعلم أن أبا الحسن لم يبدع رأياً ولم ينشئ مذهباً وإنما هو مقرر لمذاهب السلف مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله ﷺ فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنه عقد على طريق السلف نطاقاً وتمسك به وأقام الحجج والبراهين عليه فصار المقتدِي به في ذلك السالك سبيله في الدلائل يسمى أشعرياً. وكذلك من انتسب إلى أبي منصور ماتريدياً، وقد زكى النبي ﷺ في هديه الشريف هذين الإمامين بقوله صلى الله عليه وسلم(:)لتفتحنَّ القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش .(3(((

وفي هذا الحديث بشارة عظيمة للإمام أبي الحسن الأشعري، والقائد وهو محمد الفاتح بن السلطان المراد وجيشه، وكان الفاتح حنفي المذهب ماتريدي المعتقد صوفي المشرب، والجيش المذكور قد حوى الأشاعرة والماتريدية معتقداً والمذاهب الأربعة تقليداً، وقد ثبت ذلك بالتواتر والاستفاضة. وبعد هذه المقدمة المباركة فقد طلب مني أحد طلاب العلم الغيورين على دينهم بعد أن قرأ كتابي)مختصر تصحيح المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية) أن أصنف له ولطلبة العلم رسالة مختصرة أجمع

فيها ما يتعلق بالأخبار الإضافية والنعوت الإلهية، وما قاله أئمة السلف في تفسير الآيات المتشابهة، فاستخرت الله تعالى في ذلك الطلب، وانشرح صدري في كتابة رسالة لهذا الغرض أسميتها)النصيحة لمريد العقيدة الصحيحة) وقسمتها إلى فصلين: الفصل الأول:الحديث عن الذات الإلهية وما يتعلق بها.

الفصل الثاني:صفات الله عز وجل

الفصل الثالث :أقوال أئمة السلف والخلف في الأخبار الإضافية " النعوت .

لذا أدعو كل أخ محب لدينه أن يراجع نفسه وينظر بصدق وإخلاص وإنصاف في هذه الرسالة لعلّ الله أن يوفقنا جميعاً لإزالة ما ران على القلوب من شبه المشبهين ودسائس المغرضين الذين لا يألون جهداً في النيل من أمة الإسلام التي جعلها الله شاهدة على الأمـم، وما اعتمادي وتوفيقي إلا على الله، وما قصدي إلا الإصلاح ما استطعت، وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى الصراط المستقيم، فأقول وبالله التوفيق:

الفصل الأول

الحديث عن ذات الله تعالى

يجب على المكلف أن يؤمن بأن ذات الله ذات علية، عز أن تدركها العقول والأفهام، وجلّ أن تجول فيها الفهوم والأفكار، لا يتعلق بكنهها حديث العلم ولا قديمه، ولا يجمعها لطيف الحد ولا عظيمه، ذات أزلية قديمة، لا تشبه شيئاً، ولا يشبهها شيء، كيف وليس لها في الوجود مناسب، ولا مطابق، ولا مناف، ولا مضاد،)ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)، وليست مركبة من جزء أو كل أو بعض، لا بتركيب ذهني ولا خارجي، وليست حالة في الأشكال ولا في الأجرام ولا في الأوهام، وليست داخل العالم ولا خارجه، ولا صاعدة ولا نازلة، لها الإحاطة المطلقة بكل شيء، فهو سبحانه قائم بذاته متصف بأسمائه وصفاته.

فيجب الإيمان بذاته على سبيل الإجمال لا على سبيل التفصيل، لأنه لا سبيل إلى معرفة كنه ذاته فإنه تعالى لا برهان عليه ، بل هو برهان على كل شيء. قال الله تعالى)أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد))فصلت:3 5).

عقيدة السلف الصالح والخلف في الأخبار الإضافية وآيات النعوت والأوصاف

وإليك أخي المسلم بعض أقوال السلف في هذا:

ذهب السلف وأئمة الخلف إلى أن الأخبار الإضافية الموهمة للتشبيه الأصل فيها

التفويض وجاز التأويل فيها لضرورة دفع شبه التشبيه.

أقول" :إن التفويض والتأويل مذهب واحد عند السلف والخلف إلا أن التفويض اتسعت دائرته عند السلف وضاقت عند الخلف والعكس بالنسبة للتأويل عند الخلف وذلك لأسباب فرضت نفسها، منها:

1- اتساع الفتوحات الإسلامية ودخول كثير من المجتمعات غير العربية في الإسلام.

2- كثرة الاختلافات الكلامية التي أوجدها الواقع.

3-بُعد مجتمع الخلف عن التنزيل

4- ظهور مستجدات جديدة لتلاحم الأفكار والآراء مع الشعوب الأخرى.

فينبغي تأويل ما أحوجت إليه الضرورة أو التفويض، دون الجزم بالمعنى مع الاعتقاد أن الظاهر غير مراد.

●قال الإمام الترمذي رحمه الله: قد قال غير واحد من أهل العلم في هذه الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، فإنهم قالوا:قد ثبتت الروايات في هذا ونؤمن بها ولا نتوهم، ولا يقال كيف هكذا روي عن مالك بن أنس وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث أمرُّوها بلا كيف وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة انتهى)0. سنن الترمذي – كتاب الزكاة) 3/ 24 .((

●قال الإمام البغوي:وهو قول أبي بن كعب وعائشة، وعروة بن الزبير رضي الله

عنهم، ورواية طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما وبه قال الحسن وأكثر التابعين، واختاره الكسائي والفراء والأخفش، وقالوا:لا يعلم تأويل المتشابه إلا الله، وقد استأثر الله بعلمه. اه (معالم التنزيل) 1/ 428-429 . ((

•قال الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى)ثم استوى على العرش))الأعراف:54) :إنما نسلك في هذا المقام مسلك السلف الصالح، مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد، والشافعي وأحمد واسحاق بن راهويه، وغيرهم من أئمة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير تعالى الله عما يصفون علواً كبيراً.

•وقال الإمام السيوطي في الإتقان)2/ 6 :(ومن المتشابه آيات الصفات.. وجمهور أهل السنة، منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض معناها والمراد منها إلى الله تعالى ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها" . اهـ

*وذهب السلف والخلف إلى القول بالتأويل عند الضرورة في الأخبار الإضافية، وآيات النعوت والأوصاف، وقد أثر ذلك عنهم جميعاً كما سيأتي معك في الفصل الثالث.

ولما كان الإيمان بالذات متعذراً تفصيلاً عدل حتى عن ذكر لفظ الذات في الكتاب والسنة لإغلاق باب الخوض في حقيقة الذات أضف إلى ذلك أن الله سبحانه وتعالى كنى عن ذاته في معرض ذكرها بالنفس والوجه تأكيداً وتعليماً لعباده بالتفكر في

آلائه ونعمائه دون ذاته لأن التفكر في صفات الله إدراك، والتفكر في ذات الله إشراك، وصدق الله تعالى إذ يقول:)ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)

وفي الآية إشارة جميلة تتعلق بالنفي والإثبات حيث إن هذه الآية محكمة قطعية الدلالة، وتعد قاعدة كلية عامة أصلاً في العقائد؛ لأنها جمعت بين التنزيه والإثبات، فالله سبحانه وتعالى نفى عن نفسه مثلية مطلقة في الذات والصفات والأفعال، فاقتضى المقام أن يثبت الله تعالى لنفسه صفة تعد في معناها أصلاً يرجع إليه في إثبات الصفات لله تعالى، فوصف نفسه بقوله:)وهو السميع البصير)وهي صفات المعاني ولم يقل وهو ذو عين وذو أذن، فدل ذلك على أن صفات الله تعالى التي تتناسب مع التنزيه هي صفات المعاني. وقد علم النبي ﷺ درساً لليهود في نفي التشبيه لما قالوا له:صِف لنا ربك، وكانوا ينتظرون منه تشبيهاً، فنزلت سورة الإخلاص تنفي عن الله تعالى ما يتوهمونه بقوله تعالى:)ولم يكن له كفواً أحد)

وتلك سنة الأنبياء مع أقوامهم قبل النبي ﷺ، فهذا سيدنا إبراهيم خليل الرحمن يقول:)وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض)ولم يقل:للذي جلس على العرش أو المكان الفلاني والجهة المعينة، بل أتى بفعل الصفة التي تؤول إلى صفات المعاني، وهي خلق السماوات والأرض وإبداعهما.

وكذلك كليم الله موسى يسأله فرعون وما رب العالمين فلم يقل له:إنه جالس على العرش، وإن له يدين وعينين، وساقاً، بل قال :)رب السموات والأرض وما بينهما

إن كنتم موقنين). فهذا هو الإيمان الحق، الذي ليس ثمة إيمان بعده. وقد أكد النبي ﷺ ذلك في توجهه في الصلاة ويأتي بنفس هذا المعنى:(وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً...)

ويؤكد ذلك أيضاً ضحك النبي صلى الله عليه وسلم من اليهودي الذي جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث الصحيح " إن الله يمسك السموات على أصبع، والأرض على اصبع.." الحديث، فقرأ قوله سبحانه وتعالى:)وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه المعنى)، كما قال الإمام الرازي:من غير تصوير قبضة وطي ويمين، وإنما هو تصوير لعظمة شأنه لتمثيل الخفي بالجليّ. اهـ فهذه الآية تبين في معانيها وألفاظها الدقيقة بطلان ذلك الزعم ورده، وكأن الحق سبحانه يرد عليهم حين علق ذلك بيوم القيامة، وكأنه يقول لهم:لو أن مازعمتموه حق لكان قبض السموات والأرض منذ أن خلقهما فإن الإحالة والتعليق على أمر سيكون فيما بعد دليل على بطلان ذلك الزعم، ولا يُزيل تلك الشبهة إلا التأويل بأن السموات والأرض خاضعتان مقهورتان تحت حكمه وقدرته لم يخرجا عن حكمه ولن يخرجا عن ذلك الحكم كما قال سبحانه لهما حينما خلقهما ائتيا طوعاً أو كرها فاندفع بهذه الآية احتمال كونهما غير طائعتين، حيث إنهما غير خارجتين عن حكمه وإرادته، وإنما بين ذلك لإظهار عظمته بعد ظهورهما وكأن الحق سبحانه يبين للخلق أن ما كان في الغيب محكوماً عليه بالقهر يبقى محكوماً عليه بالقهر وإن ظهر.

فقوله جميعاً إشارة إلى أن البدء والختم يكون بالقدرة المتمثلة في القبض والبسط، أضف إلى ذلك أن هذا ينسجم مع قوله سبحانه:)إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)، فما أراده الله أن يكون إيجاداً أو إعداماً فهو كائن بأمره وقدرته لما تقرر أن قدرته غير منفصلة عن ذاته، أما من أثبت لله الجوارح واعتبرها وأقحمها في معنى الصفة فهو ملزم بأن يثبت أنَّ القدرة منفصلة عن الذات، ومن أثبت الانفصال فهو مارق عن الحق زائغ عن الجادة. لأنه أثبت قدرات متعددة وهذا محال على الواحد الأحد، لأن قدرته لا تتعدد وفي ذلك قال صاحب الزبد:

فقدرتهْ لكل مقدور جعل وعلمه لكل معلوم شمل

ويؤكد ما عنيناه أن الآية قد ختمت بقوله تعالى سبحانه وتعالى:)عما يشركون)، فيا له من ردٍ قاطع قطع ألسنة المشبِّهة والمجسمة الذين وصفوا الله بأوصاف خلقه وألصقوا به مالا يليق بجلاله وكماله، ولبّسوا على العامة حينما اعتبروا الأخبار الإضافية والنعوت صفات، عاملهم الله بعدله.

ومما ينسف معتقداتهم ما سأورده لك من أقوال أئمة هذا الشأن، قال الإمام الرازي:)قال الزمخشري في كشافه عند تفسير قوله تعالى :)ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام)، ويبقى وجه ربك.. أي:ذاته، والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون:أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان، وذو الجلال والإكرام صفة لوجه) اهـ.

وهذا مما يرد على من ينسبون له تعالى الجارحة ويقولون إن له وجهاً لا كالوجوه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إذ المراد بالوجه في عُرف العرب ذات الشيء وجملته. والقاعدة عند أهل البيان أن الصفة تتبع الموصوف ولا تخالفه إلا بقرينة وإنما عادت الصفة في قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام على المضاف دون المضاف إليه لأن كلاً منهما ذات.

وأما في قوله تعالى:)تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام)فقد عادت الصفة على المضاف إليه دون المضاف والقاعدة عندهم أن الحكم إذا دار بين الذات والمعنى أُعمل في الذات دون المعنى فالوجه ذات والاسم معنى.

وهذه الآية)ويبقى وجه ربك)... تنفي عن الله سبحانه وتعالى أن يكون المراد بوجه ربك :صفة، لأن وصف الذوات معروف عدا ذات الحق حيث إن ما به المهايزة غير ما به المشاركة، وأنها ليس لها مثال لتمثل به حيث قال سبحانه:)ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)فقد نفى الحق سبحانه عن نفسه المثل وأثبت أن نفي المثل لا ينفي عنه المعنى الذي يظهر في المثل ولذا أثبت لذاته صفات المعاني كالسمع والبصر دون أن يثبت الجارحة) الاذن والعين) بل يصرف اللفظ في مثل ذلك عن ظاهره وجوباً لما قد يتبادر من إثبات ذات على وجه التفصيل، لذا كان الواجب اثبات الذات على وجه الاجمال لدفع شبهة التشبيه ومع ذلك فإن الشارع لم يصرح بلفظ الذات في نصٍ لا من الكتاب ولا من السنة.

وقال العلامة ابن طاهر التميمي البغدادي في كتابه (أصول الدين):

"وزعم بعض الصفاتية أن الوجه والعين المضافين إلى الله تعالى صفات له. والصحيح عندنا أن وجهه ذاته وعينه رؤيته للأشياء. وقوله:(ويبقى وجه ربك)معناه ويبقى ربك ولذلك قال ذو الجلال والإكرام بالرفع لأنه نعت الوجه ولو أراد الإضافة لقال ذي الجلال والإكرام بالخفض... وأيّد هذا المنحى الإمام القرطبي في المفهم عند شرح قوله ﷺ (إن الله يمسك...): هذا كله قول اليهودي وهم يعتقدون التجسيم، وأن الله شخص ذو جوارح كما يعتقده غلاة المشبهة من هذه الأمة، وضحك النبي ﷺ إنما هو للتعجب من جهل اليهودي لهذا قرأ عند ذلك:(وما قدروا الله حق قدره)أي ما عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه، وقد صح حديث: (إن قلوب بني آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن) فالجواب أنه إذا جاءنا مثل هذا الكلام من الصادق تأولناه أو توقفنا فيه إلى أن يتبين وجهه مع القطع باستحالة ظاهره، بضرورة صدق من دلت المعجزة على صدقه، ونقطع بأن ظاهره غير مراد"

قلت:إن إشارة النبي ﷺ على منبره الشريف بأصابعه ليس هو تمثيلاً لله تعالى، لأنه ينقل صفة قول ذلك الحبر لتعرف العرب ما قاله الحبر على التمام، وليس في ذلك دليل على موافقه النبي ﷺ لليهود بدليل نص الآية (وما قدروا الله حق قدره)أي ما عرفوه حق معرفته حيث وصفوه بما لا يليق بحقه تعالى.

وعلى هذا لا يجوز أن يقال إن النبي ﷺ صدقه على تجسيمه هذا، فسياق الحديث وقراءته ﷺ لقوله تعالى:)وما قدروا الله حق قدره)دليل على أن ضحكه ﷺ كان استغراباً واستهزاءاً بتجسيمهم وخِفَّة عقولهم.

قال الخطابي: إنما ضحك النبي ﷺ تعجباً وإنكاراً لما قاله الحبر، وما جاء في الرواية الأخرى، فضحك ﷺ تعجباً وتصديقاً فهذا على ما فهمه الراوي .

فذات الله المقدسة لا تحل في الأماكن والأشياء، ولا يجوز أن يقال إن الله في كل مكان، لأن القياس باطل أصلاً، فالمكان مخلوق والله خالق، والمظاهر أمام الحق عدم، والوجود النسبي أمام الوجود المطلق عدم، وإذا ثبت شيء من ذلك يصار إلى التأويل كما في قوله تعالى:)وهو معكم أينما كنتم)يؤول بأنه موجود في كل مكان بعلمه وإحاطته، وأكد ذلك الحافظ ابن حجر في الفتح (508/ 1(كتاب الصلاة ـ في شرح الحديث ((إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه ـ أو إن ربه بينه وبين القبلة ـ فلا يبزقن أحدكم قبل قبلته، ولكن عن يساره أو تحت قدميه.. ((قال:()وإن ربه بينه وبين القبلة ((وكذا في الحديث الذي بعده، فإن الله قِبلَ وجهه، فقال الخطابي:معناه أن توجهه إلى القبلة مفض بالقصد منه إلى ربه فصار في التقدير:فإن مقصوده بينه وبين قبلته، وقيل هو على حذف مضاف أي عظمة الله أو ثواب الله، وقال ابن عبد البر:هو كلام خرج على التعظيم لشأن القبلة، وقد نزع به بعض المعتزلة القائلين بأن الله في كل مكان، وهو جهل واضح، لأن في الحديث أنه يبزق تحت قدمه، وفيه نقض ما أصلوه، وفيه الرد على من زعم أنه على العرش

بذاته، ومهما تؤول به هذا جاز أن يتأول به ذاك والله أعلم. اهـ

ومادام الأمر كذلك فهل استوى الله بذاته على عرشه؟، الحق الذي يصار إليه أن الله استوى على عرشه باسم الرحمن، وهو من الأسماء المقيدة المشتقة، لا باسم الذات المطلقة)الله(الدالة على حقيقة الذات مطلقاً فلم ترد آية ولا حديث نبوي في إثبات أن الله جلس على عرشه بذاته، فهذا لفظ بدعي لم يقله أحد من السلف، ولذا أجمعت الأمة سلفاً وخلفاً بأن الاستواء كما أخبر وكما ذكر في القرآن .. «الاستواء معلوم والكيف غير معقول ـ أي غير متصور ـ أو هو بمعنى الملك كما قال الإمام أبو طاهر البغدادي، أو هو الاقتدار كما قال فخر الدين الرازي، أو هو الاستيلاء كما قال صاحب الجوهرة، وغيره من جمهرة أئمة هذا الشأن من الأشاعرة والماتريدية وكل ذلك قد بيّناه في كتابنا " تصحيح المفاهيم العقدية" ولله در ابن رجب الحنبلي حينما قال:"استواء كما ذكر لا كما يخطر للبشر

وقال الحافظ التقي السبكي:عقيدتنا أن الله قديم أزلي لا يشبه شيئاً، ولا يشبهه شيء، ليس له جهة، ولا مكان ولا يحتوي عليه وقت ولا زمان ولا يقال له أين ولا حيث، يرى لا عن مقابلة ولا على مقابلة، كان ولا مكان، كون المكان ودبّر الزمان، وهو الآن على ما عليه كان.

هذا مذهب أهل السنة، "الأشاعرة والماتريدية" وعقيدة مشايخ الطريق رضي الله عنهم قال الجنيد رضي الله عنه:متى يتصل من لا شبيه ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟ !

وكما قيل ليحيى بن معاذ الرازي، أخبرنا عن الله عز وجل؟ فقال:إله واحد، فقيل له:كيف هو؟ فقال:ملك قادر، فقيل له:أين هو؟ فقال:بالمرصاد، فقال السائل:لم أسألك عن هذا، فقال:ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرت عنه.

وكما سأل ابن شاهينَ الجنيد عن معنى "مع" فقال:مع على معنيين:مع الأنبياء بالنصرة والكلاءة، قال الله تعالى :)إنني معكما أسمع وأرى)ومع العالَم بالعلم والإحاطة قال الله تعالى :)ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم)فقال ابن شاهين:مثلك يصلح دالاً للأمة على الله.

وسئل ذو النون المصري رضي الله عنه عن قوله تعالى :)الرحمن على العرش استوى)فقال:أثبت ذاته ونفى مكانه، فهو موجود بذاته، والأشياء بحكمته كما شاء.

وسئل عنها الشبلي رضي الله عنه فقال:الرحمن لم يزل، والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى.

وسئل عنها جعفر بن نصير فقال:استوى علمه بكل شيء وليس شيء أقرب إليه من شيء.

وقال جعفر الصادق عليه السلام:من زعم أن الله في شيء، أو من شيء أو على شيء فقد أشرك؛ إذ لو كان في شيء لكان محصوراً، ولو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان من شيء لكان محدثاً.

وقال محمد بن محبوب:قال لي أبو عثمان المغربي يوماً:يا محمد لو قال لك قائل أين معبودك ؟ أي شيء تقول؟ قلت:أقول حيث لم يزل. قال:فإن قال فأين كان في الأزل؟ أيش تقول؟ قلت:حيث هو الآن، يعني أنه كان ولا مكان، فهو الآن كما كان، قال فارتضى ذلك مني، ونزع قميصه فأعطانيه.

وقال أبو عثمان المغربي كنت أعتقد شيئاً من حديث الجهة، فلما قدمت بغداد زال ذلك عن قلبي، فكتبت إلى أصحابي بمكة، إني أسلمت جديداً، فقال:فرجع كل من كان تابعه على ذلك.

قال ابن العربي في العارضة :(2/ 234-235) قد تعدى إليه ـ أي حديث النزول ـ قوم ليسوا من أهل العلم بالتفسير، فتعدوا عليه بالقول بالنكير، وقالوا:في هذا الحديث دليل على أن الله في السماء على العرش من فوق سبع سموات.

قلنا: هذا جهل عظيم، وإنما قال ينزل إلى السماء ولم يقل في هذا الحديث من أين ينزل ولا كيف ينزل. قالوا:وحجتهم ظاهر قول الله تعالى:)الرحمن على العرش استوى).

قلنا:وما العرش في العربية؟ وما الاستواء؟

قالوا:كما قال الله تعالى:)لتستووا على ظهوره).

قلنا:إن الله تعالى تنزه أن يمثل استواءه على عرشه باستوائنا على ظهور الركائب.

قالوا:كما قال الله تعالى:)واستوت على الجودي)

قلنا:تعالى الله أن يكون كالسفينة جرت حتى لمست فوقفت.

قالوا:وكما قال)فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك)

قلنا:معاذ الله أن يكون استواؤه كاستواء نوح وقومه، لأن هذا كله استواء مخلوق بارتفاع وتمكن في مكان واتصال ملامسة، وقد اتفقت الأمة من قبل سماع الحديث ومن بعده على أنه ليس استواؤه على شيء من ذلك، فلا يضرب له المثل بشيء من خلقه.

قالوا:قال الله عز وجل ثم استوى إلى السماء

قلنا:تناقضت، تارة تقول إنه على العرش فوق السماء، ثم تقول انه في السماء، لقوله تعالى)أأمنتم من في السماء)، وقلت إن معناه على السماء.

قالوا:اجتمع الموحدون على أن يرفعوا أيديهم في الدعاء إلى السماء، ولو لا ما قال موسى إلهي في السماء لفرعون ما قال:يا هامان ابن لي صرحاً.

قلنا:كذبتم على موسى، ما قالها قط، ومن يوصلكم إليه، إنما أنتم أتباع فرعون الذي اعتقد أن الباري في جهة فأراد أن يرقى إليه بسلم، فهنيئاً لكم أنكم من أتباع فرعون، وأنه إمامكم.

واحتجوا بقول أمية بن أبي الصلت حيث قال:

فسبحان من لا يقدر الخلق قدره ومن هو فوق العرش فرد موحد
مليك على عرش السماء مهيمن لعزته تعنو الوجوه وتسجد

قالوا:وهو قد قرأ التوراة والإنجيل والزبور.

قلنا:هذا الذي يليق بجهلكم أن تحتجوا بقول فرعون، ثم تثنوا بقول ملحد جاهل، وتحيلون به على التوراة والإنجيل المبدلة المحرفة، وأنتم تعلمون أن اليهود أعرق خلق الله كفراً وتشبيهاً له بخلقه.

والذي يجب أن يعتقد في ذلك أن الله كان ولا شيء معه، ثم خلق المخلوقات من العرش إلى الفرش، فلم يتعين بها، ولا حدث له جهة منها، ولا كان له مكان فيها، فإنه لا يحول ولا يزول، قدوس لا يتغير ولا يستحيل.

وللاستواء في كلام العرب خمسة عشر معنى ما بين حقيقة ومجاز، منها ما يجوز على الله فيكون معنىً للآية، ومنها ما لا يجوز على الله بحال، وهو إذا كان الاستواء بمعنى التمكن أو الاستقرار أو الاتصال أو المحاذاة، فإن شيئاً من ذلك لا يجوز على الباري تبارك وتعالى ولا تضرب له الأمثال في المخلوقات، وإما أن لا يفسر كما قال مالك وغيره، إن الاستواء معلوم ـ يعني مورده في اللغة ـ والكيف غير معقول ـ أي يستحيل في حق الله سبحانه وتعالى ـ والسؤال عنه بدعة، لأن الاشتغال به قد يثير

طلب المتشابه ابتغاء الفتنة، فتحصل لك من كلام إمام المسلمين مالك أن الاستواء معلوم وأن ما يجوز على الله غير متعين وما يستحيل عليه هو منزه عنه.. وقد حصل لك التوحيد والإيمان بنفي التشبيه، والمحال على الله سبحانه وتعالى .." اهـ

وقد تتبعت الألفاظ المروية عن مالك بن أنس فيما يتعلق بخبر الرحمن على العرش استوى فتبين لي أن قوماً ممن لا دقة لهم في الصناعة الحديثية نقلوا كلام مالك محرفاً، فأفسدوا المعنى، ويتمثل هذا التصحيف المعنوي حيث بدلوا قول مالك:)الكيف عنه مرفوع (وفي رواية)الكيف غير معقول) بلفظ :) الكيف مجهول) وهذا التغيير خطير لأن بقولنا :)الكيف مجهول) أثبتنا لله تعالى كيفاً لا يعلم لدينا والله تعالى منزه عن الكيف إجماعا .

أما قول مالك:" الكيف عنه مرفوع، أو الكيف غير معقول" ففيه نفيٌ للكيف عن الله تعالى مطلقاً حيث لا يعقل ولا يتصور، وهذا تأويل ضمني من مالك حيث صرف معنى الاستواء المعقول المكيف بالحلول والاستقرار عن حقيقته وظاهره، وذلك بنفيه للكيف، فهو تفويض وتأويل كما هو مذهب السلف والخلف، وهو الذي مشينا عليه في كتابنا هذا.

وإليك الروايتين اللتين رواهما البيهقي في الأسماء والصفات:

عن عبد الله بن وهب قال:) كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال يا أبا عبد الله:)الرحمن على العرش استوى)كيف استواؤه، قال فأطرق مالك، وأخذته الرُّحضَاء ثم رفع رأسه فقال:الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال

كيف، والكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه. قال:فأخرج الرجل (

وعن يحيى بن يحيى النيسابوري قال :) كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل، فقال:يا أبا عبد الله)الرحمن على العرش استوى)كيف استوى، قال:فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال:الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعاً، فأمر به أن يخرج).

ومع ذلك فإن مدعي اتباع السلف يخالفون مالكاً فيثبتون الكيف ويقولون:الرحمن استوى على العرش بذاته، على الحقيقة، فأي كيفية أوضح تشبيهاً من ذلك؟!، ثم يكثرون الكلام والجدل في هذا الموضوع ويثيرونه بين الناس، فلذلك وجب علينا أن نخرجهم كما أمر مالك بإخراجهم، وإخراجهم يتمثل في إنقاذهم من ظلمة التجسيم والتكييف.

وإليك ما قاله إمام أهل السنة الإمام الفخر الرازي في قوله تعالى)إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش):

(المسألة الثانية) أما قوله:ثم استوى على العرش ففيه مباحث:الأول:أن هذا يوهم كونه تعالى مستقراً على العرش والكلام المستقصى فيه مذكور في أول سورة طه، ولكنا نكتفي ههنا بعبارة وجيزة فنقول:هذه الآية لا يمكن حملها على ظاهرها، ويدل عليه وجوه:

الأول:أن الاستواء على العرش معناه كونه معتمداً عليه مستقراً عليه، بحيث لولا العرش لسقط ونزل، كما أنّا إذا قلنا إن فلاناً مستو على سريره، فإنه يفهم منه هذا المعنى. إلا أن إثبات هذا المعنى يقتضي كونه محتاجاً إلى العرش، وأنه لولا العرش لسقط ونزل، وذلك محال، لأن المسلمين أطبقوا على أن الله تعالى هو الممسك للعرش والحافظ له، ولا يقول أحد أن العرش هو الممسك لله تعالى والحافظ له.

والثاني:أن قوله:)ثم استوى على العرش)يدل على أنه قبل ذلك ما كان مستوياً عليه، وذلك يدل على أنه تعالى يتغير من حال إلى حال، وكل من كان متغيراً كان محدثاً، وذلك بالاتفاق باطل.

الثالث:أنه لما حدث الاستواء في هذا الوقت، فهذا يقتضي أنه تعالى كان قبل هذا الوقت مضطرباً متحركاً، وكل ذلك من صفات المحدثات.

الرابع:أن ظاهر الآية يدل على أنه تعالى إنما استوى على العرش بعد أن خلق السموات والأرض لأن كلمة)ثم) تقتضي التراخي وذلك يدل على أنه تعالى كان قبل خلق العرش غنياً عن العرش، فإذا خلق العرش امتنع أن تنقلب حقيقته وذاته من الاستغناء إلى الحاجة. فوجب أن يبقى بعد خلق العرش غنياً عن العرش، ومن كان كذلك امتنع أن يكون مستقراً على العرش. فثبت بهذه الوجوه أن هذه الآية لا يمكن حملها على ظاهرها بالاتفاق، وإذا كان كذلك امتنع الاستدلال بها في إثبات المكان والجهة لله تعالى.

قلت:هل يصح للذات النزول والحركة. وما ذكر في السنة من أنه ينزل في الثلث

الأخير من الليل فمؤَوّل بتنزل رحمته كما قال البيضاوي، لأن الله ليس داخل العالم ولاخارجه، فإن الدخول والخروج من سمات الحوادث، ويكفينا في ذلك قول الإمام الجلال الحنبلي حينما قال:" إذا قلنا إنَّ الجدار ليس سميعاً ولا بصيراً فهل ننفي الجدار؟ لا ننفي الجدار لأن السمع والبصر ليسا من خصائصه، كذلك الدخول والخروج ليسا من لوازم الحق، فالعالم مخلوق والسماء مخلوقة والأرض والجهات مخلوقة. والله سبحانه لا يحويه مكان ولا يحده زمان، بل كان قبل أن يخلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان.

قال الإمام الرازي في قوله تعالى:)هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور):

*المراد من قوله تعالى)هل ينظرون)هو الانتظار.

*أجمع المعتبرون من العقلاء على أنه سبحانه وتعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل عليه وجوه:

ـ ما ثبت في علم الأصول أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب، يجب أن يكون محدثاً مخلوقاً، والإله القديم يستحيل أن يكون كذلك.

ـ يمتنع على الإله أن يكون منتقلاً من مكان إلى مكان لأن الانتقال يكون للمركب من الأجزاء والأبعاض والمركب مفتقر إلى غيره وكل مفتقر إلى غيره محدث والله تعالى قديم يمتنع أن يكون كذلك.

ـ من وصف بالانتقال من مكان إلى مكان يكون محدوداً أو منتهياً فيكون مختصاً

بمقدار معين، وكل ما كان كذلك فهو محدث مخلوق والله تعالى القديم الأزلي يمتنع عليه هذا.

ـ إذا جاز المجيء في حق الإله القديم فلا مانع من ألوهية الشمس والقمر!! فمن جوز المجيء على الله تعالى لزمه القول بألوهية الشمس والقمر.

ـ سأل فرعون موسى عليه السلام وما رب العالمين وطلب منه الماهية والجنس، والجوهر، فلما لم يكن الله جسماً موصوفاً بالأشكال والمقادير، كان الجواب عن هذا السؤال ليس بذكر الصورة والشكل والقدر، وإنما قال:رب السماوات والأرض، ربكم ورب آبائكم الأولين رب المشرق والمغرب فعلمنا أن الله تعالى منزه عن الجمسية وأن يكون في مكان ومنزه عن المجيء والذهاب.

ـ والله تعالى أحد ممتنع أن يكون جسماً متحيزاً ولذلك امتنع عليه المجيء والذهاب.

ـ لو جاز في حق الله المجيء والذهاب لكان الله جسماً متميزاً مشاركاً لسائر الأجسام، وهذه من صفات الحوادث والله تعالى قديم، فلا يصح في حق الله المجيء والذهاب.

أقوال أهل السنة في هذه الآية مختصرة:

أولاً:مذهب السلف الصالح :ومذهب السلف الصالح، أنه لما ثبت بالدلائل القاطعة أن المجيء والذهاب على الله تعالى محال، علمنا قطعاً أنه ليس مراد الله تعالى من هذه الآية هو المجيء والذهاب ، فالأولى السكوت عن التأويل وتفويض معنى الآية على سبيل التفصيل إلى الله تعالى.

ثانياً:مذهب جمهور المتكلمين:أنه لا بد من التأويل على سبيل التفصيل، وهو على وجوه:

الوجه الأول:المراد)هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله)، أي آيات الله فجعل مجيء الآيات مجيئاً له على التفخيم لشأن الآيات. فلما كان المقصود من الآية إنما هو الوعيد والتهديد وجب أن يضمر في الآية مجيء الهيبة والقهر والتهديد ومتى أضمرنا ذلك زالت الشبهة بالكلية، وهذا تأويل حسن موافق لنظم الآية.

الوجه الثاني:في التأويل، أن يكون المراد أمر الله . ويؤيد هذا الوجه الألف واللام للمعهود السابق في وقضي الأمر فالمضمر في قوله يأتيهم هو أمر الله تعالى.

الوجه الثالث:وهو اختيار الإمام الرازي أن المعنى حكاية عن اليهود أنهم لا يقبلون دينك إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة، ألا ترى أنهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا:)لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة)وإذا كانت هذه حكاية عن اليهود امتنع إجراء الآية على ظاهرها ؛ لأن اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله المجيء والذهاب، وكانوا يقولون إنه تعالى تجلى لموسى عليه السلام في الطور في ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك في زمان محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى هذا التقدير يكون هذا الكلام حكاية عن معتقد اليهود القائلين بالتشبية فلا يحتاج حينئذ إلى التأويل ولا إلى حمل اللفظ على المجاز، وبالجملة فالآية تدل على أن قوماً ينتظرون أن يأتيهم الله وليس في الآية دلالة على أنهم محقون في ذلك الانتظار أو مبطلون وعلى هذا التقدير يسقط الإشكال.

الفصل الثاني

صفات الله عز وجل

لله صفات قديمة لائقة به، فالله خالق قبل أن يخلق، ورازق قبل أن يرزق، والصفة لغة:هي معنى قائم بالذات دالّ عليها كدلالة اللفظ على الكلمة، لا تنفك عن الذات، ولا يقال عنها:هي الموصوف أو غير الموصوف، ولا تنفصل عن الموصوف.

والاسم والنعت والصفة معالم للذات فلا يكون الاسم وا لنعت والصفة إلا لذي ذات، ولا يكون ذو ذات إلا مسمى منعوتاً موصوفا، والنعت والوصف)15) لا يصح أن يطلقا على الذات العلية إلا من باب الإضافة لا من باب الصفات لأنهما لا تبينان معنى ولكنهما تحددان شكلاً وصورة تفصيلية عن ذات معينة وقد نهينا نهياً قاطعاً بالآيات المحكمة والأحاديث المتواترة عن جعل النعوت صفات لله تعالى على الحقيقة، فالتحديد والوصفية لا يتأتيان إلا في الصورة والأشكال، والجواهر والأعراض، والله سبحانه منزه عن ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله " كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك" والصفة شيء وآثار الصفة شيء آخر، فأهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبت الله لنفسه لا يعطلون ولا يكيفون ولا يمثلون بل يفوضون أو يؤولون ما اشتبه من النعوت والأوصاف والأخبار الإضافية.

وقد خلط من جعل فعل الصفة ـ أي أثرها ـ عين الصفة لأن فعل الصفة من الإحياء والإماتة والإيجاد وغير ذلك حادثة لها تعلق صلوحي قديم أي لها تعلق بالصفات القائمة بذات الله عز وجل وجميع ما ورد من الأخبار الإضافية الموهمة للتشبيه تعود إلى الصفات القديمة المحكم معناها فاليد تعود إلى صفة القدرة، والقدرة أصل لكثير من الصفات الإلهية كالإيجاد والنصرة والرزق والكرم فكلها بقدرة الله تعالى والعين تعود إلى صفة العلم والسمع والبصر وهكذا، وبهذا التقرير يتضح كلام أهل السنة. " جميع النعوت الإلهية تعود إلى الصفات الأم المحكمة وهي الوحدانية، الوجود، العلم، قيامه بالنفس، مخالفته للحوادث، الحياة، السمع، البصر، القدرة، الإرادة" وكونه تعالى عالماً وكونه حياً، وكونه سميعاً، وكونه بصيراً، وكونه قادراً، وكونه مريداً، وكونه متكلماً.

فقول من قال من السلف " إن اليد صفة بلا كيف" مراده أنها تدل على صفة من حيث معناها العائد إلى الصفات الأم المحكمة ويثبت أهل السنة والجماعة صفات المعاني السبع وهي القدرة والإرادة والعلم والحياة، والسمع والكلام، والبصر.

وينفون عنه ظواهر ما تشير إليه الأخبار الإضافية التي تحتمل معاني الوصفية والجسمانية كما نبّه إلى ذلك الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في كتابه " دفع شبه التشبيه" ويردون معانيها إلى صفات المعاني لأنها أصل ولأنها أليق بالذات العلية التي ليس كمثلها شيء، وهذا ما قرره أئمة المسلمين خلفاً وسلفاً.

قال الإمام المجمع على إمامته العز بن عبد السلام :) إن اعتقاد الأشعري رحمه الله مشتمل على ما دلت عليه أسماء الله التسعة والتسعون التي سمى بها نفسه في كتابه وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسماؤه مندرجة في أربع كلمات هن الباقيات الصالحات:

الكلمة الأولى :قول: سبحان الله ومعناها في كلام العرب التنزيه والسلب، فهي مشتملة على سلب النقص والعيب عن ذات الله وصفاته، فما كان من أسمائه سلباً فهو مندرج تحت هذه الكلمة كالقدوس وهو الطاهر من كل عيب، والسلام وهو الذي سلم من كل آفة.

الكلمة الثانية :قول:الحمد لله وهي مشتملة على إثبات ضروب الكمال لذاته وصفاته، فما كان من أسمائه متضمناً للإثبات كالعليم والقدير والسميع والبصير فهو مندرج تحت الكلمة الثانية، فقد نفينا بقولنا"سبحان الله" كل عيب عقلناه وكل نقص فهمناه، وأثبتنا بالحمد لله كل كمال عرفناه وكل جلال أدركناه، ووراء ما نفيناه وأثبتناه شأن عظيم قد غاب عنا وجهلناه فنحققه من جهة الإجمال بقولنا: الله أكبر وهي الكلمة الثالثة بمعنى أنه أجل مما نفيناه وأثبتناه، وذلك معنى قوله ﷺ (:)لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك ((فما كان من أسمائه متضمناً لمدح فوق ما عرفناه وأدركناه كالأعلى والمتعالي فهو مندرج تحت قولنا:"الله أكبر" فإذا كان في الوجود من هذا شأنه نفينا أن يكون في الوجود من يشاكله أو يناظره فحققنا ذلك بقولنا:لا إله إلا الله وهي الكلمة الرابعة.

فإن الألوهية ترجع إلى استحقاق العبودية ولا يستحق العبودية إلا من اتصف بجميع ما ذكرناه فما كان من أسمائه متضمناً للجميع على الإجمال كالواحد والأحد وذي الجلال والإكرام فهو مندرج تحت قولنا:" لا إله إلا الله" وإنما استحق العبودية لما وجب له من أوصاف الجلال ونعوت الكمال الذي لا يصفه الواصفون ولا يَعدّه العادّون:

حسنك لا تنقضي عجائـــــــ ـبـــه كالبحر حدّث عنه بلا حرج

فسبحان من عَظُم شأنه وعزّ سلطانه يسأله من في السموات والأرض- لافتقارهم إليه -كل يوم هو في شأن لاقتداره عليه له الخلق والأمر والسلطان والقهر فالخلائق مقهورون في قبضته والسماوات مطويات بيمينه ? يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون فسبحان الأزلي الذات والصفات ومحيي الأموات وجامع الرفات العالم بما كان وما هو آت.

ولو أدرجت الباقيات الصالحات في كلمة منها على سبيل الإجمال وهي الحمد لله لاندرجت فيها.

فإن الحمد هو الثناء والثناء يكون بإثبات الكمال تارة وبسلب النقص أخرى وتارة بالاعتراف بالعجز عن درك الإدراك، وتارة بإثبات التفرد بالكمال، والتفرد بالكمال من أعلى مراتب المدح والكمال، فقد اشتملت هذه الكلمة على ما ذكرناه في الباقيات الصالحات، لأن الألف واللام فيها لاستغراق جنس المدح والحمد على ما علمناه وجهلناه ولا خروج للمدح عن شيء مما ذكرناه ولا يستحق الألوهية إلا من اتصف

بجميع ما قررناه، ولا يخرج عن هذا الاعتقاد ملك مقرّبٌ ولا نبي مرسل ولا أحد من أهل الملل إلا من خذله الله فاتبع هواه وعصى مولاه، أولئك قوم قد غمرهم ذل الحجاب، وطردوا عن الباب، وبعدوا عن ذلك الجناب، وحق لمن حجب في الدنيا عن إجلاله ومعرفته أن يحجب في الآخرة عن إكرامه ورؤيته). انتهى

قال العيني في عمدة القاريء عند شرح حديث القدم:" ثم اعلم أن هذه الأحاديث من مشاهير أحاديث الصفات والعلماء فيها علي مذهبين أحدهما مذهب المفوضة وهو الإيمان بأنها حق على ما أراد الله ولها معنى يليق به وظاهرها غير مراد وعليه جمهور السلف وطائفة من المتكلمين والآخر مذهب المؤولة وهو مذهب جمهور المتكلمين فعلى هذا اختلفوا في تأويل القدم والرجل، فقيل المراد بالقدم هنا المتقدم وهو سائغ في اللغة ومعناه حتى يضع الله فيها من قَدَّمه لها من أهل العذاب، وقيل المراد به الموضع لأن العرب تطلق اسم القدم على الموضع قال تعالى لهم قدم صدق أي موضع صدق، فإذا كان يوم القيامة يلقى في النار من الأمـم والأمكنة التي عُصي الله عليها فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب موضعاً من الأمكنة ومن الأمـم الكافرة في النار فتمتلئ، وقيل القدم قد يكون اسماً لما قدم من شيء كما تسمى ما خبطت من الورق خبطاً فعلى هذا من لم يقدم إلا كفراً أو معاصي على العناد والجحود فذاك قدمه وقدمه ذلك هو ما قدمه للعذاب والعقاب الحالين به والمعاندون من الكفار هم قدم العذاب في النار وقيل المراد بوضع القدم عليها نوع من الزجر عليها والتسكين لها كما يقول القائل لشيء لدى محوه وإبطاله جعلته تحت

رجلي، ووضعته تحت قدمي، وقال الكرماني يحتمل أن يعود الضمير إلى المزيد ويراد بالقدم الآخر لأنه آخر الأعضاء أي حتى يضع الله آخر أهل النار فيها، وأما الرواية التي فيها الرجل فقد زعم الإمام أبو بكر بن فورك أنها غير ثابتة عند أهل النقل ورد عليه برواية الصحيحين بها وقال ابن الجوزي:إن الرواية التي جاءت بلفظ الرجل تحريف من بعض الرواة لظنه أن المراد بالقدم الجارحة فرواها بالمعنى فأخطأ ثم قال ويحتمل أن يكون المراد بالرجل إن كانت محفوظة الجماعة كما نقول رجل من جراد فالتقدير يضع فيها جماعة وإضافتهم إليه إضافة اختصاص واختلف المؤولون فيه فقيل:إن الرجل تستعمل في الزجر كما تقول وضعته تحت رجلي وهذا قد مرّ في القدم وقيل المراد بها رجل بعض المخلوقين وقيل أنها اسم مخلوق من المخلوقين وقيل إن الرجل تستعمل في طلب الشيء على سبيل الجد كما يقال قام في هذا الأمر على رجل ومنهم من أنكر هذه الأحاديث كلها وكذبها وهذا طعن في الثقات وإفراط في رد الصحاح ومنهم من روى بعضها وأنكر أن يتحدث ببعضها وهو مالك روى حديث النزول وأوّله، وأنكر أن يتحدث بحديث اهتزاز العرش لموت سيدنا سعد بن معاذ، ومنهم من تأوله تأويلاً يكاد يفضي فيه إلى القول بالتشبيه" اهـ.

مدخل إلى الأخبار الإضافية شبهة ابن تيمية في إثبات النعوت صفات

تلك الشبهة التي جعلت ابن تيمية يطلق على من خالفه أنه معطل للصفات، وبذلك أصبحت جميع الأمة خلفاً وسلفاً جاهلة بالله. وهذا كلام باطل لأنه منذ

القرون الفاضلة وعند التنزيل كان للآيات المتشابهة تأويل، فبمفهومه الذي رد به التأويل واستعاض عنه بتجسيم ألبسه ثوب التفويض، يكون قد خلط بين الحق والحقيقة والسبب والمسبب والمعاني والظواهر، وبين المعنى والمبنى. قال العارف بالله ابن عجيبة رحمه الله :" الأكوان ظاهرها حسٌ وباطنها معنى، فمن وقف مع الحس كان جاهلاً، ومن نفذ إلى المعنى كان عارفاً .

وقد دخلت على ابن تيمية الشبهة من باب التنزيه، ولكن زلت به القدم من حيث لم يشعر، والشبهة التي دخلت عليه أنه حينما نظر في الآيات المتشابهة ورأى أن جمهرة العلماء تَأَوَّلوها بردها إلى صفات المعاني وأن المعاني يشترك فيها المخلوق مع الخالق في الاتصاف بها دونما في نفس الأمر رأى من باب أولى أن يطلق ذلك على النعوت "الأخبار الإضافية" أعني لفظ اليد والوجه والعين وهو خطأ واضح. فإن صفات المعاني غيبية لا تعلم إلا آثارها فهي في الغيب أمكن، والذات العلية بالغيب أليق، فما لا يليق بجلاله لا يطلق على ذاته، والجلال معنى فكل ذات تكتسب ظهورها من المعاني،وذات الحق غيبية محضة لا تتعلق بالأمثلة والمقاييس، وقد ثبت عن ابن تيمية قوله في جميع كتبه أن كل كمال يوصف به المخلوق فبالخالق أولى. فهذا إن قصد به مطلق الكمال البشري فمردود بدليل أن القدرة على الجماع والإنجاب في حق الرجل كمال، وهو في حقه تعالى محال ونقص منزّه عنه. لكن الكمال المعنوي كالقدرة والإرادة فيجب فيها قياس الأولى وكذلك التنزيه.

الفصل الثالث

أقوال أئمة السلف في الأخبار الإضافية

(النعوت)

وفيه أربعة عشر مبحثاً

المبحث الأول:خبر النفس

قال تعالى :)ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير))آل عمران:28) .

وقال تعالى (:ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد))آل عمران:30) .

وقال تعالى:)تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك))المائدة:116) .

1ـ تفسير ابن جرير الطبري:

قال ابن جرير الطبري في تأويل قوله تعالى:)ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير))(230 /3 :

يعني تعالى ذكره بذلك يخوفكم الله من نفسه أن تركبوا معاصيه، أي متى صرتم إليه وقد خالفتم ما أمركم به نالكم من عقاب ربكم مالا قبل لكم به .

قلت:المراد من كلام ابن جرير في قوله تعالى:)يحذركم الله نفسه)أي عقابه.

وقال في تأويل قوله تعالى:)ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد):

معناه يحذركم الله نفسه أن تسخطوها عليكم بركوبكم ما يسخطه عليكم". انـظر

ابن جرير)3/ 231).

وقال في تأويل قوله تعالى:)ولا أعلم ما في نفسك)أي لا أعلم أنا ما أخفيته عني، فلم تطلعني عليه لأني إنما أعلم من الأشياء ما أعلمتنيه. انظر ابن جرير-7 /138(139).

وبه قال الشوكاني في فتح القدير)1/ 331)، وابن جماعة في إيضاح الدليل)ص65).

2ـ تفسير المحرر الوجيز لابن عطية:

قال ابن عطية)3/ 57) في تفسير قوله تعالى:)ويحذركم الله نفسه):

والنفس في هذا راجع إلى الذات، وفي الكلام حذف مضاف لأن التحذير إنما هو من عقاب وتنكيل ونحوه.

قال ابن عباس والحسن:ويحذركم الله عقابه

وقال رحمه الله في تأويل قوله تعالى:)ولا أعلم ما في نفسك)معناه :

ولا أعلم ما عندك من المعلومات، وما أحطت به، والمعنى أنه لا علم لي بالغيب فكيف تكون لي الألوهية. ابن عطية)5/ 240). وبه قال ابن جماعة.

3ـ تفسير ابن كثير:

قال ابن كثير)2/ 27) في تأويل قوله تعالى:)ويحذركم الله نفسه).

أي يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته.

المبحث الثاني:خبر العين

. قوله تعالى:)ولتصنع على عيني))طه:39)

. وقوله تعالى:)واصنع الفلك بأعيننا ووحينا))هود:37)

. وقوله تعالى:)تجري بأعيننا)) القمر:14)

. وقوله تعالى:)فإنك بأعيننا))الطور:48) .

أخرج ابن جرير)16/ 162) بسند صحيح عن ابن زيد في قوله تعالى:)ولتصنع على عيني)قال:جعله في بيت الملك ينعم ويترف وغذاؤه عندهم غذاء الملك فتلك الصنعة والمعنى في كلام ابن زيد أن المراد بالعين هنا العناية الخاصة من الله تعالى بموسى عليه السلام.

وبه قال الشوكاني)3/ 365) وفي)5/ 123).

وابن الجوزي في زاد المسير)8/ 93).

وقال ابن عطية)15/ 300):" قول جمهور العلماء بأن معناه بحفظنا وحمايتنا

وقيل:المراد حفظاً من الملائكة

قال ابن جماعة)ص64) في تأويل العين: المراد والله تعالى أعلم مزيد الاعتناء والحراسة.

المبحث الثالث:خبر الوجه

قال تعالى:)فأينما تولوا فثم وجه الله))البقرة:115)

تفسير الدر المنثور)1/ 26):عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته تطوعاً، أينما توجهت به، ثم قرأ ابن عمر رضي الله

عنهما:فأينما تولوا فثم وجه الله وقال:في هذا نزلت هذه الآية.

أخرجه ابن أبي شيبة وعبد بن حميد ومسلم والترمذي والنسائي، كذا في الدر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:)فأينما تولوا فثم وجه الله(:أي قبلة الله، فأينما توجهت شرقاً وغرباً.

أخرجه ابن أبي حاتم بسند جيد في تفسيره)1/ 346(.

وبه قال مجاهد كما في الدر المنثور)1/ 267(.

قال ابن عطية)15/ 333(:يراد بالوجه الجهة التي فيها رضاه، وعليها ثوابه.

ونقل أيضاً عن الحذاق أنهم قالوا ذلك راجع إلى الوجود والعبارة عنه بالوجه من مجاز كلام العرب، وبه قال الشوكاني)1/ 131(.

قوله تعالى :)ويبقى وجه ربك))الرحمن:27(

قال ابن عطية:والوجه عبارة عن الذات لأن الجارحة منفية عن الله تعالى، كما تقول:هذا وجه الأمر وحقيقته وذاته.

وهذا مما يرد على من ينسبون له تعالى الجارحة ويقولون إن له وجهاً لا كالوجوه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، إذ المراد بالوجه في عُرف العرب ذات الشيء وجملته.

وقوله تعالى :)كل شيء هالك إلا وجهه))القصص:88(

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:كل شيء هالك إلا وجهه قال:إلا ما أريد به وجهه. أخرجه عبد بن حميد. وبه قال مجاهد وسفيان الثوري كذا في الدر المنثور)6/ 447(.

قال ابن جرير الطبري(127/ 20(:في معنى قوله تعالى:)إلا وجهه)قال بعضهم معناه كل شيء هالك إلا هو وقال آخرون معنى ذلك إلا ما أريد به وجهه، وبه قال ابن عطية)12/ 198 . (

قال ابن كثير)5/ 306) في قوله تعالى:)كل شيء هالك إلا وجهه)إخبار بأنه الدائم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت، فعبر بالوجه عن الذات .

المبحث الرابع:خبر الساق

قوله تعالى:)يوم يكشف عن ساق))القلم:42)

عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سُئل عن قوله تعالى:)يوم يكشف عن ساق)فقال:إذا خفي عليكم شيء من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنه ديوان العرب، أما سمعتم قول الشاعر:

وقامت الحرب بنا على ساق

قال:أي هذا يوم كرب وشدة. أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه البيهقي في الأسماء والصفات، وبه قال مجاهد وعكرمة. كذا في الدر المنثور)8/ 254).

وعن سعيد بن جبير أنه سئل عن قوله تعالى:)يوم يكشف عن ساق)فغضب غضباً شديداً وقال:" إن أقواماً يزعمون أن الله يكشف عن ساقه وإنما يكشف عن الأمر الشديد. " أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر. كذا في الدر المنثور)4/ 254).

وبه قال ابن عطية في المحرر الوجيز)16/ 96) وابن كثير)4/ 408) والشوكاني في فتح القدير)5/ 275).

المبحث الخامس:خبر اليد

.0قال تعالى:)لما خلقت بيدي))ص:75)

.0وقال تعالى:)يد الله مغلولة))المائدة:64)

.0وقال تعالى:)يد الله فوق أيديهم))الفتح:10)

فقوله تعالى:)يد الله مغلولة)

عن ابن عباس قال:قال رجل من اليهود يقال له:شاس بن قيس إن ربك بخيل لا ينفق، فأنزل الله :)وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء)

أخرجه ابن اسحاق والطبراني في الكبير وابن مردويه عن ابن عباس وإسناده حسن، انظر كتاب مختصر تصحيح المفاهيم العقدية في الصفات الإلهية)ص77) الحاشية والدر المنثور)3/ 113).

قال ابن جرير الطبري)6/ 299):يقول تعالى ذكره :" وقالت اليهود من بني اسرائيل يد الله مغلولة ? يعنون أن خير الله ممسك وعطاءه محبوس عن الاتساع عليهم، كما قال تعالى في تأديب نبيه ﷺ :)ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط)وإنما وصف تعالى ذكره اليد بذلك والمعنى العطاء لأن عطاء الناس وبذل معروفهم الغالب بأيديهم فجرى استعمال الناس في وصف بعضهم

بعضاً إذا وصفوه بجود وكرم أو بخل وشح وضيق بإضافة ما كان من ذلك من صفة الموصوف إلى يديه.

وقال أيضاً:يعني بذلك أنهم قالوا إن الله يبخل علينا ويمنعنا فضله فلا يفضل، فالمغلولة يده الذي لا يقدر أن يبسطها بعطاء ولا بذل معروف، تعالى الله عما قال أعداء الله علواً كبيراً. وبه قال ابن كثير)3/ 57(وابن عطية)14/ 148(.

قوله تعالى :)قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم كنت من العالين)

قال ابن عطية في تفسيره المحرر الوجيز)14/ 52(:وهذه عبارة عن القدرة والقوة وعبر عن هذا المعنى بذكر اليد تقريباً على السامعين إذ المعتاد عند البشر أن القوة والبطش والاقتدار إنما هو باليد وقد كانت جهالة العرب بالله تعالى تقتضي أن تنكر نفوسها أن يكون خلق بغير مماسة ونحو هذا من المعاني المعقولة ...الخ.

قلت:لا يجوز أن تحمل اليد في الآيات المتقدمة على الجارحة لأن الباري جلّ جلاله واحد لا يجوز عليه التبعيض، ولا على القوة والملك والقدرة لأن الاشتراك يقع حينئذ بين وليه آدم عليه السلام وعدوه ابليس، وإنما المعنى أن الله تبارك وتعالى خص آدم وتفضل عليه من عباده وخلقه فأوجده من غير واسطة وإن كان الكل بقدرة الله إلا أن بقية العباد خلقهم بواسطة، فالبشر خلقوا بأمر الله وقدرته ولكن بواسطة الأب والأم، أو الأم فقط كعيسى عليه السلام، أو الأب فقط كحواء عليها السلام، وقيل إنها إضافة تشريف لبيان كرامته عليه السلام.

وقال ابن جماعة:المراد مزيد العناية كما يقال :خذ هذا الأمر بكلتا يديك. إيضاح الدليل)ص61(.

وقال الشوكاني في قوله تعالى :)لما خلقت بيدي(:أضاف خلقه إلى نفسه، تكريماً له وتشريفاً مع أنه سبحانه وتعالى خالق كل شيء. فتح القدير)4/ 445(.

وقوله تعالى :)يد الله فوق أيديهم(. قال الطبري)26/ 76(:أي قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرته على العدو.

قال ابن كثير (331/ 6(:)يد الله فوق أيديهم)أي هو حاضر معهم يسمع أقوالهم ويرى مكانهم ويعلم ضمائرهم وظواهرهم ، فهو تعالى المبايع بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما ذكر في القرآن من اليمين فإنما هو مؤول على ما سبق في اليد.

<u>المبحث السادس:</u>خبر المكر

قال تعالى:)ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين))آل عمران:54(.

قال ابن جرير في تفسيره)2/ 43(:"وأما مكر الله بهم فإنه فيما ذكر السدي:القاؤه شبه عيسى على بعض اتباعه حتى قتله الماكرون بعيسى وهم يحسبونه عيسى عليه السلام، وقد رفعه الله عز وجل قبل ذلك" . وبمعناه قال ابن كثير.

والمكر هنا المراد به المجازاة والعقوبة بالذنب والاعتداء من جنس تلك المعصية، وبهذا المعنى قال ابن عطية،)3/ 103(ونقله عن جمهور المفسرين.

قال الشوكاني في فتح القدير)1/ 344(:ومكر الله استدراجه للعباد من حيث لا يعلمون، قاله الفراء وغيره وقال الزجاج :مكر الله مجازاتهم على مكرهم، فسمى الجزاء باسم الابتلاء كقوله تعالى:الله يستهزئ بهم، وقوله تعالى:وهو خادعهم وأصل المكر في اللغة الاحتيال والخداع، حكاه ابن فارس وعلى هذا فلا يسند إلى الله سبحانه وتعالى إلا على طريق المشاكلة.

المبحث السابع:خبر الخداع

قال الله تعالى :)يخادعون الله وهو خادعهم))النساء:240(

في تفسير الدر المنثور للسيوطي)2/ 719(قال مجاهد وسعيد بن جبير والسدي في قوله تعالى:)وهو خادعهم):يعطيهم يوم القيامة نوراً يمشون فيه مع المسلمين كما كانوا معهم في الدنيا ثم يسلبهم ذلك النور فيطفئه فيبقون في ظلمتهم. أخرجه ابن جرير وابن المنذر. وبه قال الحسن، أخرجه ابن جرير الطبري .(334/ 5(

قال ابن جرير في تأويل ذلك:إن المنافقين يخادعون الله بإحرازهم دماءهم وأموالهم بنفاقهم والله خادعهم بما حكم فيهم من منع دمائهم بما أظهروا بألسنتهم من الايمان مع علمه بباطن ضمائرهم واعتقادهم الكفر استدراجاً منه لهم في الدنيا حتى يلقوه في الآخرة فيوردهم بما استبطنوا من الكفر نار جهنم، وكذا قال ابن عطية في تفسيره)4/ 288(،و ابن كثير)2/ 417(، والشوكاني في فتح القدير)1/ 529(.

المبحث الثامن:خبر النسيان

قال تعالى:)فاليوم ننساهم))الأعراف:51(.

وقوله تعالى:)نسو الله فنسيهم))التوبة:67) .

الدر المنثور للسيوطي)3/ 470:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:)فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا)أي نتركهم في النار كما تركوا لقاء يومهم هذا. أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم، والبيهقي في الأسماء والصفات.

وبه قال مجاهد والسدي كذا في الدر المنثور.

قال ابن جرير)8/ 202):في قوله تعالى :)فاليوم ننساهم)أي نتركهم في العذاب المبين جياعاً عطاشا.

وبه قال ابن عطية)7/ 72). والشوكاني في فتح القدير)2/ 379).

المبحث التاسع:خبر السخرية

قوله تعالى:)سخر الله منهم))التوبة:79) .

قال ابن كثير (3 /431(في قوله تعالى:)سخر الله منهم)من باب المقابلة على سوء صنيعهم واستهزائهم بالمؤمنين لأن الجزاء من جنس العمل فعاملهم معاملة من سخر منهم انتصاراً للمؤمنين في الدنيا.

وقال الشوكاني في قوله تعالى :)سخر الله منهم)أي جازاهم على ما فعلوه من السخرية بالمؤمنين بمثل ذلك بأن أهانهم وأذلهم وعذبهم، والتعبير بذلك من باب المشاكلة. فتح القدير)2/ 385).

المبحث العاشر:خبر الاستواء

قوله تعالى:)إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش))الأعراف:54)

وقوله تعالى:)الرحمن على العرش استوى))طه:5) .

قال ابن عطية:" قال أبو المعالي وغيره من المتكلمين هو بمعنى استواء القهر والغلبة المحرر الوجيز)11/ 63).

وقال الشوكاني:" الاستواء الإقبال على الشيء وكذا قال الزجاج والفراء وقيل هو كناية عن الملك والسلطان". فتح القدير)3/ 357).

قال العلامة التميمي البغدادي في كتاب أصول الدين)114،113):" والصحيح عندنا تأويل العرش في هذه الآية بمعنى الملك، كأنه أراد أن الملك ما استوى لأحد غيره وهذا التأويل مأخوذ من قول العرب:ثل عرش فلان إذا ذهب ملكه.

قلت :إلا أننا لا ننكر قول من قال بمعنى استولى إذا كان بمعنى الاقتدار أو بمعنى الهيمنة لأن الملك لا يتم إلا بالاقتدار والهيمنة ومع ذلك لا نجزم بالمعنى ونفوض ذلك إلى الله تعالى.

قال ابن جماعة:فقوله تعالى استوى تعين معنى الاستيلاء والقهر لا القعود إذ لو كان تعالى وجوده مكانياً أو زمنياً للزم قدم الزمان والمكان وتقدمهما عليه وكلاهما باطل. إيضاح الدليل)46).

المبحث الحادي عشر:خبر المعية

قوله تعالى :)وهو معكم أينما كنتم))الحديد:4)

قال ابن عطية في قوله تعالى (:وهو معكم أينما كنتم)معناه بقدرته وعلمه وإحاطته وهذه آية أجمعت الأمة على هذا التأويل فيها وأنها مخرجة عن معنى لفظها المعهود ودخل في الإجماع من يقول بأن المتشابه كله بمعنى أن يُمِرَّ ويؤمن به ولا يفسر فقد أجمعوا على تأويل هذه لبيان وجوب إخراجها عن ظاهرها. قال سفيان الثوري:معناه؛ علمه معكم، وتأولهم هذه حجة عليهم في غيرها. المحرر الوجيز)15/ 399).

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى:)وهو معكم أينما كنتم)قال عالم بكم أينما كنتم، أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كذا في الدر .(49/ 8(

قال ابن جماعة في إيضاح الدليل)ص76) في قوله تعالى:)وهو معكم أينما كنتم)اعلم أن إضافة صفة الرب بالمسافة محال، كما تقدم فوجب تأويلها بما نقلته الأئمة والسلف عن ابن عباس وغيره وهو أن المراد معية العلم والقدرة لا المكان وقال الثوري:علمه وقال الضحاك قدرته وسلطانه.

<u>المبحث الثاني عشر</u>:خبر الجنب

قوله تعالى :)أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله))الزمر:56)

الدر المنثور للسيوطي)7/ 241(:

عن مجاهد في قوله تعالى)يا حسرتى على ما فرطت في جنب الله)قال:في ذكر الله، أخرجه آدم ابن أبي إياس وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الأسماء

والصفات.

وقال قتادة :معناه على ما ضيع من طاعة الله، أخرجه عبد بن حميد، وابن جرير كذا في الدر المنثور)7/ 241).

قال ابن جرير الطبري)24/ 19):في قوله تعالى:)على ما فرطت في جنب الله)يقول على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به وقصرت في الدنيا في طاعة الله، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ثم روى بإسناده عن مــجاهد في قوله في جنــب اللــه يقول :في أمر الله.

وبهذا المعنى قال ابن عطية في المحرر الوجيز)14/ 97).

والشوكاني في فتح القدير)4/ 471)، وابن جماعة في إيضاح الدليل)ص66-67).

المبحث الثالث عشر:خبر الغضب

قوله تعالى :)وغضب الله عليه))النساء:93)

قوله تعالى:)من لعنه الله وغضب عليه))المائدة:60) .

وقوله تعالى:)وغضب الله عليهم))الفتح:6)

قال ابن كثير)6/ 330) في قوله تعالى:)وغضب الله عليهم)أي أبعدهم من رحمته .

وقال الشوكاني في فتح القدير في قوله تعالى:)غضب الله عليه)أي جعل جزاءه جهنم.

قال ابن جماعة في إيضاح الدليل)ص71):اعلم أنَّ الغضب فينا له مبدأ وغاية، فمبدأه حقيقة غليان الدم عند مرارة الغيظ لإرادة انتقام بالمغضوب عليه، والرب

تعالى منزه عن الغليان أي من مبدأ الغيظ فوجب تأويله بأن المراد غايته وهو الانتقام.

المبحث الرابع عشر:خبر الفراغ

قوله تعالى::)سنفرغ لكم أيّه الثقلان))الرحمن:31)

عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى :)سنفرغ لكم أيّه الثقلان)قال هذا وعيد من الله لعباده وليس بالله شغل.

أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات كذا في الدر المنثور)7/ 701).

قال ابن جرير الطبري)27/ 136):وأما تأويله فإنه وعيد من الله لعباده وتهديد كقول القائل الذي يتهدد غيره ويتوعده عن عقابه لأتفرغنَّ لك، وسأفرغ لك بمعنى أعاقبك وقد يقول القائل للذي لا شغل له قد فرغت لي وقد فرغت لشتمي أي أخذت مني واحتلت علي، وكذلك قوله جل ثناؤه) سنفرغ لكم ، أي سنحاسبكم ونأخذ في أمركم أيها الإنس والجن فنعاقب أهل المعاصي ونثيب أهل الطاعة. قال ابن عطية في تفسيره في قوله تعالى :)سنفرغ لكم أيّه الثقلان):عبارة عن إتيان الوقت الذي قدر فيه وقضى أن ينظر في أمور عباده وذلك يوم القيامة وليس المعنى أن ثم شغلاً يتفرغ منه، وإنما هي إشارة ووعيد. المحرر الوجيز)15/ 335).

وقال الشوكاني في فتح القدير في تأويلها:هذا وعيد شديد من الله سبحانه للجن والإنس قال الزجاج والكسائي وابن الاعرابي وأبو علي الفارسي:إن الفراغ هاهنا

ليس هو الفراغ من شغل ولكن تأويله القصد أي سنقصد لحسابكم. فتح القدير (5/ 136).

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على الفاتح الخاتم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منجي الأمم من الغوايات، بالنصائح والوصايا والعظات، وهاأنذا أتمم للمسترشد وأبين للطالب ما سأل في هذه النصيحة الموجزة التي أوردت فيها معتقدات السلف وأئمة الخلف في الذات والنعوت العلية وأنها ذات لا كالذوات فليس كمثلها شيء، ثم عرجت على ذكر صفات الله العلية وبينت ورود النعوت أو الأخبار الإضافية بما قرره أئمة الدين المجمع على إمامتهم وما أوله جهابذة المفسرين للآيات المشتبهات، فاتضحت بذلك الحقائق، وزالت الشبهات لمريد الحق وسالك طريق الرشاد، معتمداً في النقل على كتاب " تصحيح المفاهيم العقدية ومختصره" مع بعض الزيادات التوضيحية التي لم ترد في الأصل ومختصره راجياً من الله القدير أن يرشد بهذه النصيحة مريد الحق والفضيلة، ويدحض أرباب الفتنة والعناد إنه بالإجابة جدير، وبالنوايا بصير.



وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا الفاتح الخاتم وعلى آله وصحبه وسلم.